

ترجمة الشيخ حافظ الحكمي

الشيخ العلامة حافظ بن أحمد بن علي الحكمي، أحد علماء المملكة العربية السعودية السلفيين، وهو علم من أعلام منطقة الجنوب (تهامة) الذين عاشوا حياتهم في الشطر الأول من النصف الثاني من هذا القرن (الرابع عشر الهجري).

والحكمي: نسبة إلى (الحكم بن سعد العشيبة)، بطن من (مذحج) من (كهلان ابن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان).

* مولده ونشأته:

وُلد الشيخ حافظ لأربع وعشرين ليلة خلت من شهر رمضان المبارك من سنة ١٣٤٢ هـ، ١٩٢٤ م، بقرية (السلام) التابعة لمدينة (المضايأ) - الواقعة في الجنوب الشرقي من مدينة (جازان) حاضرة المنطقة، على الساحل، قريبة منها - حيث تُقيم قبيلته التي إليها ينتسب.

ثم انتقل مع والده أحمد إلى قرية (الجاضع) التابعة لمدينة (صامطة) في المنطقة نفسها، وهو ما يزال صغيراً؛ لأن أكثر مصالح والده - من أراض زراعية

وَمَوَاشٍ وَنَحْوَهُمَا - كَانَتْ هُنَاكَ، وَإِنْ بَقِيَتْ أُسْرَتُهُ الصَّغِيرَةَ تَنْتَقِلُ بَيْنَ قَرَيْبِي
(السَّلَام) وَ(الْجَاضِع) لِيُظْرَفَ فِيهَا الْمَعِيشِيَّةُ.

وَنَشَأَ حَافِظٌ فِي كَنَفِ وَالِدَيْهِ نَشَأَةً صَالِحَةً طَيِّبَةً، تَرَبَّى فِيهَا عَلَى الْعَفَافِ
وَعَلَى الطَّهَارَةِ وَحُسْنِ الْخُلُقِ، وَكَانَ قَبْلَ بُلُوغِهِ يَقُومُ بِرِعْيِ عَنَمِ وَالِدَيْهِ الَّتِي
كَانَتْ أَمَمٌ ثَرْوَةٌ لَدَيْهِمْ آنَ ذَاكَ، جَرِيًّا عَلَى عَادَةِ الْمُجْتَمَعِ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ، إِلَّا أَنَّ
حَافِظًا لَمْ يَكُنْ كَغَيْرِهِ مِنْ فِتْيَانِ مُجْتَمَعِهِ؛ فَقَدْ كَانَ آيَةً فِي الذِّكَاةِ وَسُرْعَةِ الْحِفْظِ
وَالْفَهْمِ، فَلَقَدْ خَتَمَ الْقُرْآنَ وَحَفِظَ الْكَثِيرَ مِنْهُ وَعُمُرُهُ لَمْ يَتَجَاوِزِ الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ بَعْدُ،
وَكَذَلِكَ تَعَلَّمَ الْخَطَّ وَأَحْسَنَ الْكِتَابَةَ مُنْذُ الصَّغَرِ.

* طَلَبُهُ الْعِلْمِ:

عِنْدَمَا بَلَغَ حَافِظٌ مِنَ الْعُمُرِ سَبْعَ سِنَوَاتٍ أَدْخَلَهُ وَالِدُهُ مَعَ شَقِيْقِهِ الْأَكْبَرِ
مُحَمَّدٍ مَدْرَسَةً لِتَعْلِيمِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ بِقَرْيَةِ (الْجَاضِعِ)، فَقَرَأَ عَلَى مُدْسِيهِ بِهَا
جُزْأِي (عَمَّ، وَتَبَارَكَ)، ثُمَّ وَاصَلَ قِرَاءَتَهُ مَعَ أَخِيهِ حَتَّى أَتَمَّ قِرَاءَةَ الْقُرْآنِ مُجَوِّدَةً
خِلَالَ أَشْهُرٍ مَعْدُودَةٍ، ثُمَّ أَكْمَلَ حِفْظَهُ حِفْظًا تَامًا بَعْدَ ذَلِكَ.

اشْتَعَلَ بَعْدَئِذٍ بِتَحْسِينِ الْخَطِّ، فَأَوْلَاهُ أَكْبَرَ جُهُودِهِ حَتَّى أَتَقَنَهُ، وَكَانَ يَنْسَخُ
مِنْ مُصْحَفٍ مَكْتُوبٍ بِخَطِّ مُمْتَازٍ، إِلَى جَانِبِ اشْتِغَالِهِ مَعَ أَخِيهِ بِقِرَاءَةِ بَعْضِ كُتُبِ
الْفِقْهِ وَالْفَرَائِضِ وَالْحَدِيثِ وَالتَّفْسِيرِ وَالتَّوْحِيدِ مُطَالَعَةً وَحِفْظًا بِمَنْزِلِ وَالِدِهِ؛ إِذْ
لَمْ يَكُنْ بِالْقَرْيَةِ عَالِمٌ يُوثِقُ بِعِلْمِهِ فَيَتَلَمَّذُ عَلَى يَدَيْهِ.

وَفِي مَطَلَعِ سَنَةِ ١٣٥٨ هـ قَدِمَ مِنْ (نَجْدِ) الشَّيْخِ الدَّاعِيَةِ الْمُصْلِحِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ

مُحَمَّدُ بْنُ حَمْدِ الْقَرَعَاوِيِّ إِلَى مَنْطِقَةِ (تَهَامَةَ) فِي جَنُوبِ الْمَمْلَكَةِ، بَعْدَ أَنْ سَمِعَ
عَمَّا كَانَ فِيهَا مِنَ الْجَهْلِ وَالْبِدْعِ - شَأْنُ كُلِّ مَنْطِقَةٍ يَقُلُّ فِيهَا الدُّعَاةُ وَالْمُصْلِحُونَ
أَوْ يَنْعَدِمُونَ-، وَنَذَرَ نَفْسَهُ مُخْلِصًا عَلَى أَنْ يَقُومَ بِالدَّعْوَةِ إِلَى الدِّينِ الْقَوِيمِ،
وَتَصْحِيحِ الْعَقِيدَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِي النُّفُوسِ، وَإِلَى إِصْلَاحِ الْمُجْتَمَعِ وَإِزَاحَةِ مَا كَانَ
عَالِقًا فِي أَذْهَانِ الْجُهَّالِ مِنْ اعْتِقَادَاتٍ فَاسِدَةٍ وَخُرَافَاتٍ مُضِلَّةٍ.

وَفِي سَنَةِ ١٣٥٩ هـ قَدِمَ شَقِيْقُ حَافِظٍ (مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ) بِرِسَالَةٍ مِنْهُ وَمِنْ
أَخِيهِ حَافِظٍ يَطْلُبَانِ فِيهَا مِنَ الشَّيْخِ الْقَرَعَاوِيِّ كُتُبًا فِي التَّوْحِيدِ، وَيَعْتَذِرَانِ عَنِ
عَدَمِ الْقُدْرَةِ عَلَى الْمَجِيءِ إِلَيْهِ لَانْشِغَالِهِمَا بِخِدْمَةِ وَالِدَيْهِمَا وَالْعِنَايَةِ بِشُؤْنَيْهِمَا،
كَمَا يَطْلُبَانِ مِنْهُ - إِنْ كَانَ فِي اسْتِطَاعَتِهِ - أَنْ يَتَوَجَّهَ إِلَيْهِمَا بِقَرِيَّتَيْهِمَا لِيَسْمَعَا مِنْهُ
بَعْضَ مَا يُلْقِي مِنْ دُرُوسٍ، وَلَبَّى الشَّيْخُ طَلِبَهُمَا وَذَهَبَ إِلَى قَرِيَّتَيْهِمَا.

وَهُنَاكَ التَّقَى حَافِظًا وَعَرَفَهُ عَنِ كَتَبٍ، وَتَوَسَّمَ فِيهِ النَّجَابَةَ وَالذِّكَاءَ، وَقَدْ
صَدَقَتْ فِيهِ فِرَاسَتُهُ.

وَمَكَثَ الشَّيْخُ الْقَرَعَاوِيُّ عِدَّةَ أَيَّامٍ فِي (الْجَاضِعِ) أَلْقَى فِيهَا بَعْضَ دُرُوسِهِ
الْعِلْمِيَّةِ الَّتِي حَضَرَهَا مَجْمُوعَةٌ مِنْ شُيُوخِ الْقَرْيَةِ وَشَبَابِهَا، وَمِنْ بَيْنِهِمْ حَافِظُ
الَّذِي كَانَ أَصْغَرَهُمْ سِنًا، لَكِنَّهُ كَانَ أَسْرَعَهُمْ فَهْمًا، وَأَكْثَرَهُمْ حِفْظًا وَاسْتِيْعَابًا لِمَا
يُلْقِي الشَّيْخُ مِنْ مَعْلُومَاتٍ.

يَقُولُ عَنْهُ الشَّيْخُ الْقَرَعَاوِيُّ - وَهُوَ شَيْخُهُ -: «وَهَكَذَا جَلَسْتُ عِدَّةَ أَيَّامٍ فِي
(الْجَاضِعِ)، وَحَافِظٌ يَأْخُذُ الدُّرُوسَ، وَإِنْ فَاتَهُ شَيْءٌ نَقَلَهُ مِنْ زُمَلَانِيهِ، فَهُوَ عَلَى اسْمِهِ

(حَافِظٌ) يَحْفَظُ بِقَلْبِهِ وَخَطِّهِ، وَالطَّلَبَةُ الْكِبَارُ كَانُوا يُرَاجِعُونَهُ فِي كُلِّ مَا يُشْكَلُ عَلَيْهِمْ فِي الْمَعْنَى وَالْكِتَابَةِ، قَالَ: لِأَنِّي كُنْتُ أُمَلِّي عَلَيْهِمْ إِمْلَاءً ثُمَّ أَشْرَحُهُ لَهُمْ.

وَعِنْدَمَا أَرَادَ الشَّيْخُ الْقَرَعَاوِيُّ رَحِمَهُ اللهُ الْعَوْدَةَ إِلَى مَدِينَةِ (صَامِطَةَ) الَّتِي جَعَلَهَا مَقْرَأًا لَهُ وَمَرْكَزًا لِدَعْوَتِهِ، طَلَبَ مِنْ وَالِدِي حَافِظًا أَنْ يُرْسِلَاهُ مَعَهُ لِيَطْلُبَ الْعِلْمَ عَلَى يَدَيْهِ فِي (صَامِطَةَ) عَلَى أَنْ يَجْعَلَ لَهُمَا مَنْ يَرَعَى غَنَمَهُمَا بَدَلًا عَنْهُ، وَلَكِنَّهُمَا رَفَضَا طَلَبَ الشَّيْخِ أَوَّلَ الْأَمْرِ، وَأَصْرًا عَلَى أَنْ يَبْقَى ابْنُهُمَا الصَّغِيرُ فِي خِدْمَتِهِمَا لِحَاجَتِهِمَا الْكَبِيرَةَ إِلَيْهِ.

وَشَاءَ اللهُ أَلَّا تَطُولَ حَيَاةُ وَالِدَتِهِ بَعْدَ ذَلِكَ إِذْ تُوفِيَتْ فِي شَهْرِ رَجَبِ سَنَةِ ١٣٦٠ هـ؛ فَأَذِنَ لَهُ وَالِدُهُ وَلَاخِيهِ مُحَمَّدٌ بِأَنْ يَذْهَبَا إِلَى الشَّيْخِ الْقَرَعَاوِيِّ لِلدِّرَاسَةِ لِمُدَّةِ يَوْمَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةٍ فِي الْأُسْبُوعِ ثُمَّ يَعُودَا إِلَيْهِ، إِلَى أَبِيهِمَا، فَكَانَ حَافِظٌ لِذَلِكَ يَذْهَبُ إِلَى الشَّيْخِ فِي (صَامِطَةَ) فِيمَلِي الشَّيْخُ عَلَيْهِ الدُّرُوسَ، ثُمَّ يَعُودُ إِلَى قَرِيَّتِهِ، وَكَانَ مُلْهَمًا يَفْهَمُ وَيَعِي كُلَّ مَا يَقْرَأُ وَكُلَّ مَا يَسْمَعُ مِنْ مَعْلُومَاتٍ.

وَلَمْ يُعَمَّرْ وَالِدُهُ بَعْدَ ذَلِكَ؛ إِذْ قُبِضَ وَهُوَ عَائِدٌ مِنْ حَجِّ سَنَةِ ١٣٦٠ هـ رَحِمَهُ اللهُ فَتَفَرَّغَ حَافِظٌ لِلدِّرَاسَةِ وَالتَّحْصِيلِ، وَذَهَبَ إِلَى شَيْخِهِ الْقَرَعَاوِيِّ وَلَازَمَهُ مُلَازِمَةً دَائِمَةً يَقْرَأُ عَلَيْهِ وَيَسْتَفِيدُ مِنْهُ.

وَكَانَ حَافِظٌ فِي كُلِّ دِرَاسَاتِهِ عَلَى شَيْخِهِ مُبَرِّزًا وَنَابِغَةً، فَأَثْمَرَ فِي الْعِلْمِ بِسُرْعَةٍ فَائِقَةٍ، وَأَجَادَ قَوْلَ الشُّعْرِ وَالنَّشْرَ مَعًا، وَأَلَّفَ مُؤَلَّفَاتٍ عَدِيدَةً فِي كَثِيرٍ مِنَ الْعُلُومِ وَالْفُنُونِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَلَقَدْ كَانَ كَمَا قَالَ عَنْهُ شَيْخُهُ: «لَمْ يَكُنْ لَهُ نَظِيرٌ فِي

التَّحْصِيلِ وَالتَّأْلِيفِ وَالتَّعْلِيمِ وَالإِرَادَةِ فِي وَقْتِ قَصِيرٍ.

* عِلْمُهُ:

مَكَتَ حَافِظٌ يَطْلُبُ الْعِلْمَ عَلَى يَدِ شَيْخِهِ الْجَلِيلِ عَبْدِ اللَّهِ الْقَرَعاوِي، وَيَعْمَلُ عَلَى تَحْصِيلِ الْعِلْمِ، وَيَقْتَنِي الكُتُبَ الْقِيَمَةَ النَّادِرَةَ مِنْ أُمَّهَاتِ المَصَادِرِ الدِّيْنِيَّةِ وَاللُّغَوِيَّةِ وَالتَّارِيخِيَّةِ وَغَيْرَهَا، وَيَسْتَوْعِبُهَا قِرَاءَةً وَفَهْمًا.

وَعِنْدَمَا بَلَغَ التَّاسِعَةَ عَشْرَةَ مِنْ عُمُرِهِ -وَمَعَ صِغَرِ سِنِّهِ- طَلَبَ مِنْهُ شَيْخُهُ أَنْ يُؤَلِّفَ كِتَابًا فِي تَوْحِيدِ اللَّهِ، يَشْتَمِلُ عَلَى عَقِيدَةِ السَّلَفِ الصَّالِحِ، وَيَكُونُ هَذَا التَّصْنِيفُ نَظْمًا لَيْسَهْلَ حِفْظُهُ عَلَى الطُّلَّابِ، يُعَدُّ بِمَثَابَةِ اخْتِبَارٍ لَهُ يُدُلُّ عَلَى الْقَدْرِ الَّذِي اسْتَفَادَ مِنْ قِرَاءَتِهِ وَتَحْصِيلِهِ الْعِلْمِيِّ.

فَصَنَّفَ مَنظُومَتَهُ «سُلْمُ الوُصُولِ إِلَى عِلْمِ الأُصُولِ فِي التَّوْحِيدِ» الَّتِي انْتَهَى مِنْ تَسْوِيدِهَا فِي سَنَةِ ١٣٦٢ هـ وَقَدْ أَجَادَ فِيهَا، وَلاَقَتْ اسْتِحْسَانَ شَيْخِهِ وَالعُلَمَاءِ المُعَاصِرِينَ لَهُ.

ثُمَّ تَابَعَ تَصْنِيفَ الكُتُبِ بَعْدَ ذَلِكَ^(١)، فَالَّفَ فِي التَّوْحِيدِ، وَفِي مُصْطَلَحِ الحَدِيثِ، وَفِي الفِقْهِ وَأُصُولِهِ، وَفِي الفَرَايِضِ، وَفِي السِّيَرَةِ النَّبَوِيَّةِ، وَفِي الوَصَايَا وَالأَدَابِ الْعِلْمِيَّةِ، وَغَيْرَ ذَلِكَ نَظْمًا وَنَثْرًا، وَقَدْ طُبِعَتْ جَمِيعُهَا طَبَعَتُهَا الأُولَى.

(١) تَأَمَّلْ وَالتَّفَتَّ إِلَى السَّنِّ الَّتِي أَلَّفَ الشَّيْخُ حَافِظٌ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- فِيهَا نَظْمًا، هَذَا المُصَنَّفُ فِي التَّوْحِيدِ، هُوَ «سُلْمُ الوُصُولِ» كَانَ دُونَ العِشْرِينَ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-.

عَلَى تَفَقُّهِ جَلَالَةِ الْمَلِكِ سُعُودِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَحِمَهُ اللهُ .

وَيَتَضَحُّ لَنَا مِنْ آثاره العِلْمِيَّةِ أَنَّ أَبْرَرَ مَقْرُوعًا فِي ذَاتِ الْأَثَرِ فِي مَهَجِهِ الْعِلْمِيِّ
وَمُؤَلَّفَاتِهِ هِيَ تِلْكَ الْكُتُبُ الَّتِي أَلْفَهَا عُلَمَاءُ السَّلَفِ الصَّالِحِينَ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ فِي
الْعُلُومِ الْإِسْلَامِيَّةِ مِنْ تَفْسِيرِ وَحَدِيثِ وَفِقِهِ وَأُصُولِهِ .

أَمَّا فِي مَجَالِ الْعَقِيدَةِ فَقَدْ بَدَأَ شَدِيدَ التَّأَثُّرِ بِشَيْخِ الْإِسْلَامِ ابْنِ تَيْمِيَّةٍ وَتَلْمِيزِهِ
الْإِمَامِ ابْنَ الْقَيِّمِ، كَانَ كَثِيرًا الْاسْتِيفَادَةَ مِنْ مُؤَلَّفَاتِهِمَا، وَكَانَ كَثِيرًا الْأَخْذَ عَنْهُمَا،
إِلَى جَانِبِ اسْتِيعَابِهِ لِكَثِيرٍ مِنْ مَصَادِرِ التَّارِيخِ وَالْأَدَبِ وَاللُّغَةِ وَالنَّحْوِ وَالْبَيَانَ
الْمُؤَلَّفَةِ فِي مُخْتَلَفِ الْعُصُورِ الْإِسْلَامِيَّةِ .

وَلَقَدْ كَانَ رَحِمَهُ اللهُ عَمِيقَ الْفَهْمِ، سَرِيعَ الْحِفْظِ لِمَا يَتَرَأَى، وَقَدْ مَرَّ بِنَا قَوْلَ لِشَيْخِهِ
يُشِيدُ فِيهِ بِتَلْمِيزِهِ حَافِظًا، الَّذِي كَانَ يَحْفَظُ بِقَلْبِهِ وَخَطَّهُ - عَلَى حَدِّ تَعْبِيرِ شَيْخِهِ - ،
وَكَانَ زُمَلَاؤُهُ الْكِبَارُ يُرَاجِعُونَهُ فِي كُلِّ مَا يُشْكَلُ عَلَيْهِمْ مِنْ مَرَاحِلِ تَعْلِيمِهِ الْأَوَّلَى .

* أَدْبَهُ :

يُعَدُّ الشَّيْخُ حَافِظًا مِنْ أَجْلِ عُلَمَاءِ مَنْطِقَتِهِ تَهَا مَهْ وَأَقْدَرِهِمْ عَلَى قَوْلِ الشَّعْرِ،
فَقَدْ كَانَ يَعْمَسُ الشَّعْرَ مِنْذُ صَغُرِهِ وَيَحْفَظُهُ وَيَقُولُهُ سَلِيْقَةً دُونَ تَكْلِيفٍ، فَلَا غَرَابَةَ
إِذَا رَأَيْنَاهُ يُخْرِجُ أَكْثَرَ مُؤَلَّفَاتِهِ تَطْلَمًا .

وَلَقَدْ كَانَ أَكْثَرَ مَا يَقُولُ الشَّعْرَ - فِي غَيْرِ مَا كَتَبَهُ مِنْ مَنْظُومَاتٍ عِلْمِيَّةٍ - أَمَّا
نَصِيْحَةٌ أَوْ مُسَاجِلَةٌ لِصَدِيقٍ أَوْ وَصْفًا أَوْ خَاطِرَةً، إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَدُونَ جَلَّ مَا قَالَ، إِنْ

وَمَرَجْنَا قُلُوبَنَا لِمَنْ بَارَكْتَ بِظُلْمَتِهِ وَفِيهِمْ أَحْفَظُ وَصَايَا الْمُصْطَفَى بِهِمْ
 وَالنَّبِيِّ اجْعَلْ لِرُوحِهِ اللَّهُ خَالِصَةً إِنَّ الْبِنَاءَ يَدُونَ الْأَصْلِلَ لَمْ يَقِيمُوا
 وَهَذَاكَ أَيْضًا قَصِيدَةُ الْهَنْزِيَّةِ النَّبِيِّ قَالَهَا فِي تَشْجِيعِ الْإِسْلَامِ وَأَهْلِيهِ وَالِدَعْوَةِ
 إِلَى التَّمَسُّكِ بِأَسَانِيهِ وَأَصْلِهِ، وَهِيَ لَا تَزَالُ مَخْطُوطَةً لَمْ تُنْشَرْ بَعْدَهُ، وَتَقَعُ فِي أَكْثَرِ
 مِنْ مِائَتِي بَيْتٍ، مِنْ بَحْرِ الْكَامِلِ عَلَى زَوْيِ الْهَمْزَةِ، اسْتَعْرَضَ فِيهَا مَا ضَرِي
 الْمُسْلِمِينَ وَحَاضَرَهُمْ وَمَا يَتَّبِعِي أَنْ يَكُونُوا عَلَيْهِ فِي مُسْتَقْبَلِهِمْ.

كُلُّ ذَلِكَ بِأَسْلُوبِ قَوْمِي رَضِينِ، وَتَعْبِيرِ جَزَلٍ، بِالِإِصْطَافَةِ إِلَى مَا تَفَجَّرَ فِي
 جَوَائِبِ آيَاتِهَا مِنْ شُعُورٍ قِيَاضٍ، وَمَعَانٍ سَامِيَةٍ، وَأَهْدَافٍ نَبِيلَةٍ، وَرُوحِ عَالِيَةٍ،
 تَحَدَّثَتْ فِي أَوَّلِهَا عَنِ الرَّسُولِ الْكَرِيمِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ وَقِيَامِهِ بِاللَّدْعَوَةِ
 إِلَى اللَّهِ، فَقَالَ:

وَيَعْرِزُ رَبِّي رُسُلَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْإِنجَاءَ
 حَتَّى اسْتَمَّ بِنَاءَهُمْ بِمُحَمَّدٍ
 فَهُوَ الرَّسُولُ إِلَى الْخَلَائِقِ كُلِّهِمْ
 مَا لِأَمْرِي أَبَدًا خُرُوجَ صَنْ شَرِيهِ
 لَمْ يَقْبِضِ الْمَوْلَى تَعَالَى رُوحَهُ
 وَأَنْتُمْ نَعَمْتُهُ وَأَكْمَلُ دِينِهِ
 وَمَعْضَى وَأَمْسُهُ بِأَقْوَمِ مَسْجِدِهِ
 ثُمَّ تَحَدَّثَ عَنِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ وَمَنَاهِجِهِمْ فِي الْحُكْمِ، وَانْتَقَلَ بَعْدَهُمْ

يَعْنِي وَاقِعَ الْمُسْلِمِينَ فِي الْعُصُورِ الَّتِي تَلَتْ عَصْرَ الْعُلَمَاءِ الرَّاشِدِينَ، وَعِنْدَمَا وَصَلَ إِلَى الْقَرْنِ السَّابِعِ الْهَجْرِيِّ عَصِرَ سَيِّحِ الْإِسْلَامِ (ابن تيمية رحمه الله) وَجَدْنَا الشَّيْخَ حَافِظًا يَقُولُ:

عَلَّمَ بِهِ يُؤْتَمُّ فِي الظَّلْمَاءِ
وَأَنْى بِقَرْنِ سَابِعٍ مِنْ هِجْرَةٍ
أَمِنِي بِذَلِكَ الْحَبْرِ أَحْمَدَ مَنْ إِلَى
كَمْ حَاجَمَ الْبِدْعَ الضَّلَالَ وَأَهْلِهَا
وَقَوَاعِدَ التَّحْرِيفِ هَذَا أَصْوَلُهَا
وَلَهُ جِهَادٌ لَيْسَ بِعَهْدٍ مِثْلَهُ
إِلَّا بِعَهْدِ السَّادَةِ الْخُلَفَاءِ
وَبَعْدَ أَنْ ذَكَرَ مَا قَامَ بِهِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ مِنْ قَمْعٍ لِلْفِتَنِ وَإِيَادَةِ لِلطُّغْيَانِ، تَابَعَ الْمَسِيرَةَ إِلَى الْعُصُورِ الْإِسْلَامِيَّةِ الثَّلَاثِيَّةِ، مُصَوِّرًا طَبِيعَةَ الْحَيَاةِ الَّتِي كَانَتْ يَعْيشُهَا الْمُسْلِمُونَ فِي تِلْكَ الْأَرْبَعَةِ، مُشِيرًا إِلَى بَعْضِ الْمُصْلِحِينَ الَّذِينَ سَعَوْا لِتَصْحِيحِ الْأَوْضَاعِ فِي بِلَادِهِمْ كَالشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ فِي الْقَرْنِ الثَّانِي صِرَ الْهَجْرِيِّ وَغَيْرِهِ - رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى -

ثُمَّ ذَهَبَ يُوَجِّهُ الْخُطَابَ إِلَى الْعُلَمَاءِ وَطُلَّابِ الْعِلْمِ فِي عَصْرِهِ، مُسْتَهْضًا هِمَمَهُمُ لِلدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ وَالْإِخْلَاصِ فِي الْعَمَلِ، وَالْقِيَامَ بِالرَّاجِبِ الْمُلْتَمَى عَلَى عَوَاقِبِهِمْ نَحْوَ إِخْوَانِهِمُ الْمُسْلِمِينَ فِي كُلِّ مَكَانٍ، فَقَالَ:

هَلْ نَسْمَعُونَ مَعَاشِرَ الْعُلَمَاءِ إِلَّا
تُصَفُّونَ نَحْوَ مَقَالَتِي وَبِذَاتِي؟
بِأَطْلَبِي عِلْمَ الشَّرِيعَةِ فَأَنْهَضُوا
وَأَدْعُوا عِبَادَةَ اللَّهِ بِاسْتِهْدَاءِ

انحرو بهم نحو الصراط المستقيم - ورَفَضَ كُلَّ طَرِيقَةٍ صَوَّجَاهُ
كَيْفَ انْتِصَارَ الْمُسْلِمِينَ وَجَلَّهُمْ صَن دِينِهِمْ فِي غَفْلَةٍ صَمِيَاءٍ

وَقَدْ أَطَالَ فِي ذَلِكَ، وَبِهَذَا نَكْتَتِي.

وَلَعَلَّ فِي هَذِهِ الْمُتَطَفَّاتِ مِنْ هَاتَيْنِ الْقِصِيدَتَيْنِ كِفَايَةٌ كَنَمَازِجٍ حَيْثُ مِنْ شِعْرِهِ
السَّيِّخِ حَافِظِ الْحَكْمِيِّ رَحِمَهُ اللهُ، وَالَّتِي تُدَلُّ عَلَى تَدَفُّقِ شَاعِرِيَّتِهِ، وَجُودَةِ شِعْرِهِ
الإِسْلَامِيِّ وَسُمُو غَايَاتِهِ.

أَعْمَالُهُ:

عِنْدَمَا لَمَسَ السَّيِّخُ عَبْدُ اللهِ الْقَرَعاوِي تَفُوقَ تَلْمِيزِهِ حَافِظِ وَتُبُوغَهُ الْعِلْمِيِّ
أَقَامَهُ مُدْرِّسًا لِزَمَلَائِهِ، وَالْمُسْتَجِدِّينَ مِنَ التَّلَامِيذِ، فَأَلْقَى عَلَيْهِمْ دُرُوسًا نَافِعَةً
اسْتَعَادُوا مِنْهَا قَائِدَةً كُبْرَى.

لَمْ عَيْنَهُ سَيِّخُهُ فِي سَنَةِ ١٣٦٣ هـ مُدِيرًا لِمُدْرَسَةِ (صَاطِطِيَّة) السَّلَفِيَّةِ - أَوَّلِ
مُدْرَسَةِ افْتَتَحَهَا السَّيِّخُ فِي الْمَنْطِقَةِ لِطُلَّابِ الْعِلْمِ -، وَأَسَنَّ إِلَيْهِ أَمْرَ الإِشْرَافِ
عَلَى مُدَارِسِ الْقُرَى الْمُجَاوِرَةِ.

وَأَسَمِعَتْ بَعْدَ ذَلِكَ مُدَارِسِ السَّيِّخِ فِي مَنْطِقَتِي (تِهَامَةَ وَعَسِير) فَمَا مِنْ مَدِينَةٍ
أَوْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَأَسَّسَ بِهَا مَدْرَسَةً أَوْ أَكْثَرَ تُدْرَسُ الْعُلُومَ الإِسْلَامِيَّةَ، وَجَعَلَ بِهَا مِنْ
تَلَامِيذِهِ مَنْ يُعْمَلُ بِالتَّدْرِيسِ فِيهَا، وَيَتَوَلَّى شُؤْنَ إِدَارَتِهَا.

وَلَمَّا كَانَ السَّيِّخُ يُعْمَلُ فِي فتراتٍ مُتَعَدِّدَةٍ بِجَوالاتٍ عَلَى مِائَاتِ الْمُدَارِسِ الَّتِي

كَانَ قَدْ أَسَّسَهَا فِي الْمَنطِقَةِ جَعَلَ تَلْمِيذَهُ الْأَوَّلَ الشَّيْخَ حَافِظَ الْحَكَمِيِّ مُسَاعِدًا لَهُ
يَتَوَلَّى الإِشْرَافَ عَلَى سِرِّ التَّعْلِيمِ وَأُمُورِ الإِدَارَةِ أَثْنَاءَ تَجَوُّلِ الشَّيْخِ عَلَى
مَدَارِسِهِ، فَهَضَمَ حَافِظٌ بِالْعِبءِ الْمَلْفَى عَلَى عَائِقَتِهِ، وَأَدَّى الأَمَانَةَ خَيْرَ الأَدَاءِ.
ثُمَّ تَنَقَّلَ الشَّيْخُ حَافِظٌ - لِلقِيَامِ بِوَرَائِجِهِ مَعَ شَيْخِهِ - فِي عِدَّةِ أَمَاكِنَ، مِنْهَا قَرْيَةٌ
(السَّلَامَةُ الْعُلْيَا) وَمَدِينَةُ (أُمِّ الْحَسْبِ) فِي الْجُزْءِ الشَّمَالِيِّ مِنْ مَنطِقَةِ (جَارَانِ)
وغيرِ هُمَا، عَادَ بَعْدَهَا إِلَى مَدِينَةِ (صَامِطَةَ) مَرَّةً أُخْرَى يُدِيرُ مَدَارِسَهَا، وَيَسَاعِدُ
شَيْخَهُ فِي تَحْمِلِ الْمَسْئُولِيَّةِ وَالإِشْرَافِ عَلَى سِرِّ التَّعْلِيمِ وَمَوَاصِلَةِ تَدْعِيمِ مَهَامِ
الدَّعْوَةِ وَالإِصْلَاحِ.

وَهَكَذَا مَضَى الشَّيْخُ حَافِظٌ يُؤَدِّي وَاجِبَاتِهِ فِي سَبِيلِ التُّهُؤُوسِ بِأَبْنَاءِ مَنطِقَتِهِ،
وَلِيَرْفَعَ مِنْ مَسْتَوَاهُمُ الثَّقَافِيَّ وَالاجْتِمَاعِيَّ، وَلِيُقْبِدَهُمْ مِنْ عِلْمِهِ قَدْرَ مَا يَسْتَطِيعُ،
فَقَدْ كَانَ يَجْتَمِعُ إِلَيْهِ طَلَبَةُ الْعِلْمِ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ لِيَسْتَلِمُوا عَلَى يَدَيْهِ فَيَسْتَفِيدُونَ مِنْهُ
فَانْدَادَ عُظْمَى، وَمِنْ طَلَبَتِهِ الآنَ عُلَمَاءٌ أَفْضَلُ يَتَوَلَّوْنَ مَنَاصِبَ القَضَاءِ وَالتَّدْرِيسِ
وَالوَعظِ وَالإِرشَادِ فِي جَمِيعِ أَنْحَاءِ الْمَنطِقَةِ الْجَنُوبِيَّةِ وَغَيْرِهَا.

وَفِي سَنَةِ ١٣٧٣ هـ افْتَتَحَتْ وَزَارَةُ الْمَعَارِفِ السُّعُودِيَّةِ مَدْرَسَةً ثَانِيَةً بِ(جَارَانِ)
عَاصِمَةِ الْمَنطِقَةِ، فَعَيَّنَ الشَّيْخُ حَافِظٌ أَوَّلَ مُدِيرٍ لَهَا فِي ذَلِكَ الْعَامِ.

ثُمَّ افْتَتِحَ مَعَهُدٌ عِلْمِيٌّ تَابِعٌ للإِدَارَةِ الْعَامَّةِ لِلكَلِمَاتِ وَالْمَعَاهِدِ الْعِلْمِيَّةِ آنَذَاكَ
(جَامِعَةُ الإِمَامِ مُحَمَّدِ بْنِ سَعُودِ الإِسْلَامِيَّةِ حَالِيًا) بِمَدِينَةِ (صَامِطَةَ) فِي عَامِ
١٣٧٤ هـ، فَعَيَّنَ الشَّيْخُ حَافِظٌ مُدِيرًا لَهُ؛ فَقَامَ بِعَمَلِهِ هَذَا خَيْرَ قِيَامٍ، وَكَانَ يُلْقِي فِيهِ

بعض المحاضرات ويهلي على تلاميذه الكثير من المعلومات الشرعية
والتفوية المفيدة، ويضع لهم المذكرات الدراسية للفنون التي لم تُفكر لها كتب
علمية وفق المناهج المحددة، كان يهليها أحياناً بنفسه، وقد يهليها عن طريق
المدرسين بالمعايد أحياناً أخرى.

صغاته:

قال الشيخ القاضي علي القيفي في «السمط الحاوي لأسلوب الدأوية
الشيخ عبد الله الفرعابي» في نشر التعليم في جنوب المملكة، في وصف
الشيخ حافظ - رحمه الله تعالى -: «كان - رحمه الله تعالى - ربيعاً، أسمع اللون،
مستدير الوجه، فمخ الأصان، خفيف اللحية والعارضين، أقرن الحاجبين،
يابس الخشن من الثياب، يتتبع يخلق عربي مسلم رفيع من الكرم والشهامة،
والحلم والتواضع، وأظن المعاصرة، يوجب الدعاية، والمخج، والطرائف،
ويعجبه النكته المهدية مع براءة وجد وقوة ملاحظة ويمد نظر.

وتبارس بعض الألقاب السميية أحياناً مع زملائه وطلابه، ويتفوق عليهم
في المسابقة على الأقدام، والمراقة وهي نوع من المصارعة، والمحاورة وهي
نوع من القفز، وفي لمية السيف.

وكان حاد الذهن، قوي الذاكرة، وكان سريع القراءة والفهم والحفظ،
خاضع البيهية، تأقب الرأي، صادق الفراسة، حياً، ورعاً، عابداً، خازناً
صارماً في اتخاذ القرار، وأصوب حَسَنِ بِالْقِرَاءَةِ إِلَّا أَنَّهُ كَانَتْ تَسْتَأْتِيهِ حَسَابِيَّةٌ فِي

الشَّعْبُ الْهَوَالِيَّةِ، وَنَسَبَ لَهُ عَطَايَا وَبَهْدًا، وَخُشْرَةً فِي نَبْرَاهِ الْعَمْرِيَّةِ.

وَيَقُولُ شَيْخُهُ الْكَبِيرُ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ فِي رِسَالَةٍ وَجَّهَهَا إِلَى ابْنِ أُخِيهِ أَحْمَدَ بْنِ الشَّيْخِ حَافِظٍ، يَصِفُ الشَّيْخَ حَافِظًا: «كَانَ كَخَلْقِهِ عَلَمٌ جَانِبٍ كَثِيرٌ مِنَ الْوَرَعِ وَالْكَرَمِ وَالْعِفَّةِ وَالْتَقْوَى، قَوِيَّ الْإِيمَانِ، قَلِيدُ التَّمَسُّكِ، ضِدًّا عَا بِالْحَقِّ، يَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ وَيَتَّبِعُ صُنْهَ، لَا تَأْخُذْهُ فِي اللَّهِ كَرَمَةً لَا تَمُ.

كَانَتْ مَجَالِسُهُ دَائِمًا عَامُورَةً بِاللُّدْرُسِ وَالْمَذَاهِرِ وَتَحْصِيلِ الْعِلْمِ، تَعَصُّ بِطَّلَابِهِ فِي الْبَيْتِ وَالْمَسْجِدِ وَالْمَدْرَسَةِ، لَا يُعْمَلُ خَدِيئَةٌ، وَلَا يَسَامُ جَلِيئَةٌ.

كَانَ جُلَّ أَوْقَاتِهِ مُلَازِمًا لِتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَمُطَالَعَةِ الْكُتُبِ الْعِلْمِيَّةِ، بِالإِضَافَةِ إِلَى التَّدْرِيسِ وَالتَّالِيفِ وَالْمَذَاهِرِ.

وَكَانَ خَفِيفَ النَّفْسِ يُحِبُّ الرِّيَاضَةَ وَالدُّعَابَةَ وَالْمُزَاحَ مَعَ رُفَلَائِهِ وَطُلَّابِهِ وَرُؤَرَاهُ، مِمَّا يَجِدُ قُلُوبَ النَّاسِ إِلَيْهِ، وَيُحِبُّ إِلَيْهِمْ مَجَالِسَهُ وَالِاسْتِيفَادَةَ مِنْهُ.

وَكَانَ الشَّيْخُ حَافِظُ الْحَكَمِيِّ كَخَلْقِهِ مِقَالًا يُحَدِّثُ إِكْلَ طَالِبِ عِلْمٍ يُرِيدُ التَّحْصِيلَ وَالْعِلْمَ النَّافِعَ، وَكَانَ مِقَالًا لِكُلِّ عَالِمٍ جَلِيلٍ مُتَوَاضِعٍ يُحِبُّ لِتِلَاوَتِهِ وَرُفَلَائِهِ كُلِّ خَيْرٍ وَصَلَاحٍ.

وَقَائِدُهُ:

لم يزل الشيخ حافظ مديراً لمعهد صامطة العلمي حتى حجَّ في سنة ١٣٧٧ هـ وبعد انتهائه من أداء مناسك الحج ألقى نداءً ربه في يوم السبت الثامن عشر من شهر ذي الحجة سنة ١٣٧٧ هـ بمكة المكرمة على أثر مرض ألمَّ به، وهو في ريعان شبابه؛ إذ كان عمره آنذاك خمسيناً وثلاثين سنة ونحو ثلاثة أشهر، ودُفن بمكة المكرمة رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته.

وقد كان وقع خبر وفاته على شيخه وعلى أهله وزملائه وأصدقائه وتلاميذه شديداً، والمصيبة به فادحة، وقد رأته بعض تلاميذه رثاءً حاراً يعكس مدى الفاجعة التي أصابتهم بوفاته، من ذلك قصيدة للشيخ الدكتور زاهر بن عواض الألمعي، يقول في أولها:

لَقَدْ دَوَى عَلَى (الْمَخْلَافِ) صَوْتُ
تَفَجَّعَتِ الْجَنُوبُ وَسَاكِنُوهَا
وَدَافَعَتْ فِي الدُّنَا صَيَحَاتِ خَطْبٍ
فَكَفَّكَتِ الدُّمُوعَ عَلَى فِقْدَانِهِ
وَأَحْيَا فِي الرَّبُوعِ بُيُوتَ عِلْمٍ
أَحَافِظُ كُنْتُ لِلْمَلْبِأَةِ قُطْبًا
وَبَحْرًا فِي الْمُلُومِ بِعِيدِ ضُورٍ
كَثِيرِ النَّفْعِ قَمَّوْا إِمَامًا

وَمَا سَأَلْتُمْ فَمَنْ هَبْجُكُمْ مَنَارٌ يُضِيءُ دُرُوبَنَا وَيَهَيِّئُ لَنَا أَقْلَامًا
وَمِنْ زَنَاهُ أَيْضًا تَلْمِيزُهُ الْأَسْتَاذَ إِبْرَاهِيمَ حَسَنَ الشَّعْبِيِّ بِقَصِيدَةٍ نَقَطَتْ مِنْهَا

قوله:

وَخَلَّفَ حَاسِرَةً لِي فِي الْفَوَادِ
بِمَا رَحَّبْتُ وَلَمْ تَسْعِ الْجَوَادِي
بِنَا نَعْيِي النَّعْيَ الْبَطْلَ الْعَمَادِ
مِنَ الْخَيْرَاتِ يَا قُطْبَ النَّوَادِي
فَمَنْ نَخَعَارُ بَعْدَكَ لِلْقِيَادِ؟
وَمَصْبَاحُ الْبُحُورِثِ بِكُلِّ وَادِي
وَهَمَّتْكَ الْعِلْمِيَّةُ فِي أَزْدِيَادِ
لَقَدْ كُنْتَ الْمَقْدَمَ فِي الْمَرَايَا
وَكُنْتَ الْقَائِدَ الْمَدْعُورِ فِينَا
سِلَاحَ الْمَشَاكِلِ كُنْتَ قَدَمَا
وَفِي كُلِّ الْعُلُومِ مَدَدَتْ بَأْصَا
هَذَا كَلِمَةٌ، وَكَانَ عَمْرُهُ حِينَ مَاتَ ٣٥ سَنَةً، وَنَحْوُ ثَلَاثَةِ أَشْهُرٍ، فَمَاتَ فِي
رَبْعَانِ شِبَابِهِ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى -، وَلَمْ يَبْلُغْ حَدَّ الْكُهُولَةِ بَعْدَ، وَخَلَّفَ مَا خَلَّفَ
مِنَ الْأَثَارِ الْعِلْمِيَّةِ الْعَظِيمَةِ، الَّتِي يُقْبَلُ عَلَيْهَا طُلَّابُ الْعِلْمِ، يَنْهَلُونَ مِنْ مَعِينِهَا،
وَيَتَوَفَّرُونَ عَلَى فَهْمِهَا، وَذَلِكَ لِجِدَّةِ وَإِخْلَاصِهِ فِي الطَّلَبِ.

وَأَمَّا نَفْعُ تَرْجَمَتِهِ وَكَذَا مَا يَكُونُ مِنَ الْإِشَارَةِ إِلَى مَا صَنَعَ شَيْخُهُ الْقِرْعَاوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ،
وَهُوَ بَاعِثُ النُّهْضَةِ الْعِلْمِيَّةِ الْحَدِيثَةِ السَّلَفِيَّةِ الْعَقْدِيَّةِ عَلَى مَنْهَجِ السَّلَفِ فِي
جَنُوبِ الْمَمْلَكَةِ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ لَهُ مِنَ الطَّلَّابِ وَالنَّالِمِيذِ وَمِنَ الثَّمَرَاتِ سِوَى
حَافِظِ الْكُفَّاهِ؛ فَرَحِمَهُمَا اللَّهُ تَعَالَى رَحْمَةً وَاسِعَةً.

ولقد خَلَّفَ الشيخ رحمه الله بعد رحيله مكتبة علمية كبيرة عامرة بكل علم وفن، أوصى بأن تكون وفقاً على طلاب العلم ورواد المعرفة، فُقِّمَتْ إلى معهد صامطة العلمي لينتفع بها المدرسون والطلاب، ولتبقى تحت إشراف إدارة المعهد.

كما خَلَّفَ من تَأَلَّفَهُ آثاراً علمية نافعة في كثير من الفنون الإسلامية، لا يستغني عنها كل طالب علم، وستأتي الإشارة إليها.

مؤلفاته:

له - رحمه الله تعالى - مؤلفات عديدة، في التوحيد، ومصطلح الحديث، والفقه وأصوله، والفرائض، والتاريخ، والسيرة النبوية، والنصائح والوصايا والآداب العلمية، من هذه المؤلفات ما هو منظوم، ومنها ما هو منثور.

أ- في التوحيد:

١- (سلم الوصول، إلى علم الأصول، في توحيد الله واتباع الرسول ﷺ)

أرجوزة في أصول الدين، مطاعها:

أَبَدًا يَا نَسْمَ اللّٰهِ مُسْتَمِعِينَ رَاضٍ بِهِ مُدَبِّرٌ أَمِينًا

انتهى من تسويدها في سنة ١٣٦٢ هـ وهي أول ما ألف. وطبعت طبعتها الأولى بمكة المكرمة سنة ١٣٧٣ هـ كتبها رحمه الله، أو نظمها وهو دون العشرين.

٢- (معارض القول، بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول - في التوحيد) وهو شرح مطول لأرجوزة (سلم الوصول) - المتقدم ذكرها -، انتهى من تسميته الشرح في سنة ١٣٦٦ هـ ويقع في مجلدين كبيرين، تزيد صفحاتهما في طبعته الأولى عن ألف ومائة صفحة.

وهذا الكتاب من أهم آثار الشيخ وأشهرها وأغناها عن التعريف، ويتمتع بقيمة علمية كبيرة بين طلاب العلم وأساتذة الجامعات الإسلامية، وقد دأبت الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء في المملكة العربية السعودية زمنًا طويلاً على توزيعه مجاناً على خريجي الكليات وعلى المدرسين والقضاة، إنما فيه من فوائد جمّة، ولما يحويه من معلومات قيمة في موضعه وموضوعه، ولحسن عرضه وتبويبه، واستيفائه لكثير من نصوص الكتاب والسنة وأقوال السلف الصالح بما لا يدع زيادة لمستزيد.

٣- (أعلام السنة المنشورة، لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة) كتاب مؤلف على طريقة السؤال والجواب، انتهى من تسميته في غرة شهر شعبان سنة ١٣٦٥ هـ و طبع طبعته الأولى بمكة المكرمة د.ت (في ٦٧ ص).

٤- (الجوهرة الفريدة، في تحقيق العقيدة) منظومة دالية، مطلعها:
 حَمْدُ اللَّهِ لَا يُحْصَى لَهُ عَدَدٌ وَلَا يُحِيطُ بِهِ الْأَقْلَامُ وَالْوَسَدُ
 طبعت طبعتها الأولى بمكة المكرمة سنة ١٣٧٣ هـ (في ١٩ ص).

ب- في المصطلح:

ه- (دليل آداب الملاح، لتحقيق فن الاصطلاح) كتاب جليل حاول في مصطلح الحديث، طبع طبعه الأولى بمكة المكرمة سنة ١٣٧٤هـ (في ١٧٤ ص).

٦- (اللؤلؤ المكنون، في أحوال الأسايد والمتون) منظومة، مطالعها:

الْحَمْدُ كُلُّ الْعَمْدِ لِلرَّحْمَنِ ذِي الْفَضْلِ وَالسُّعْمَةِ وَالْإِحْسَانِ

انتهى من نظمها في سنة ١٣٦٦هـ وطبعت طبعها الأولى بمكة المكرمة

(في ١٨ ص).

ج- في الفقه:

٧- (السبل السوية، لفقه السنن المرورية) منظومة طويلة في الفقه وفق آوابه

المعروفة، مطالعها:

أَبْدَأُ بِأَسْمِ خَالِقِي مُحَمَّدًا لَا مُجَسِّلًا مُكْتَفِيًا مُحَرِّقًا

طبعت طبعها الأولى بمكة المكرمة د.ت (في ١٣٤ ص).

د- في أصول الفقه:

٨- (وسيلة الحصول، إلى مهمات الأصول) منظومة في أصول الفقه،

مطالعها:

الْحَمْدُ لِلْمَعْدِلِ الْحَكِيمِ النَّاسِ الْمُسْتَعَانَ الْوَأَجِدِ الْقَهَّارِ

التي من كتابتها في سنة ١٣٧٣هـ وتقع في ٦٤٠ بيتاً. طبعت طبعتها الأولى بمكة المكرمة د.ت (في ٣٥ ص).

٩- متن (لامية المنسوخ) منظومة لامية الروي في النسخ وما يدخله من الكتب المفهية، مطلعها:

العَمْدُ لَهُ فِي الدَّارَيْنِ مُتَّصِلٌ هُوَ السَّلَامُ فَلَا تَقْضِ وَلَا عِلَّالِ
طبعت طبعتها الأولى بمكة المكرمة د.ت (في ١٠ ص).

ه- في الفرائض:

١٠- (النور الفائق، من شمس الوحي، في علم الفرائض) رسالة مشورة في علم الفرائض، انتهى من كتابتها في ١٥-٨-١٣٦٥هـ، وطبعت طبعتها الأولى بمكة المكرمة سنة ١٣٧٣هـ (في ٤٦ ص).

و- في التاريخ والسيرة النبوية:

١١- (نيل السؤل، من تاريخ الأمم وسيرة الرسول ﷺ) منظومة تاريخية، تزيد أبياتها عن (٩٥٠ بيتاً)، مطلعها:

العَمْدُ لِلَّهِ الْمُهَيَّبِينَ الْأَحَدِ بَارِي الْبَرَاءِ الْوَالِدِ الْفَرْدِ الصَّمَدِ
طبعت طبعتها الأولى بمكة المكرمة (في ٥٢ ص).

ز- في النصائح والوصايا والآداب العلمية:

١٢- نصيحة الإخوان المشهورة بـ (القافية)، وعنائها: (هذا سؤال بشأن

الفتاى والدخان والشمة)، وهي قصيدة ثانية، مطلعها:

خَيْدًا لِمَنْ أَسْبَغَ الْعَنَّا وَالْهَمْنَا خَيْدًا فَلَيْسَ بِهَا طَافٍ خَفِيَّاتٍ

وقد طبع معها رد عليها لأحد أهل اليمن، ثم جواب الشيخ عليه، وفي

الجواب الأخير فرائد جليئة. وقد طبع طبعها الأولى بمكة المكرمة سنة

١٣٧٤هـ (في ١٥ صفحة).

١٣ - (المنظومة الميمية، في الوصايا والأدب العلمية) قصيدة ميمية رائعة

في الحث على العلم وطلبه والتمسك بما جاء في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ،

مطلعها:

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ عَلَى آلَائِهِ وَهُوَ أَهْلُ الْحَمْدِ وَالنِّعَمِ

طبع طبعها الأولى بمكة المكرمة د.ت في (١٤ ص).

وقد طبع جميع هذه الكتب من مؤلفات الشيخ حافظ الحكيم رحمه الله

طبعها الأولى - ما أرتخ منها وما لم يورخ - في سبتي ١٣٧٣هـ - ١٣٧٤هـ على

تقفة جلالة الملك سعود بن عبدالعزيز بمطابع البلاد السعودية بمكة المكرمة،

عدا كتاب (معارج القبول) الذي طبع طبعته الأولى د.ت (نحو سنة ١٣٧٧هـ)

في المطبعة السلفية بمصر.

وله أيضا بعض الرسائل والمنظومات، أهمها:

١- (مفتاح دار السلام، بتحقيق شهادتي الإسلام).

٢- (شرح الورقات، في أصول الفقه - لأبي المعالي الجويني).

٣- (همزية الإصلاح، في تشجيع الإسلام وأمله، والتمسك كل التمسك بأساسه وأصله).

٤- (مجموعة خطب للجمع والمناسبات الدينية).

وكل مؤلفاته رحمته تعطيك الدليل الواضح على مكانته العلمية، وعلى تعمقه في كثير من جوانب المعرفة، وهي كتب قيمة يكفي للدلالة على جودتها وقمتها أن بعضها عرض على فضيلة العلامة الشيخ محمد بن إبراهيم رحمته مفتي الديار السعودية آنذاك، فاستحسنها واستجادها وأشار إلى الحكومة بطبعها وتوزيعها حتى يستفيد منها الخاصة والعامة على السواء، ما فيها من فوائد جمّة، ونصائح عامة نافعة لجميع المسلمين في دينهم ودنياهم، ولأنها تحضهم على التمسك بكتاب الله وسنة رسوله عليه وعلى باع السلف الصالح والأئمة المبرزين من علماء المسلمين.

فَرَحِمَ اللهُ تَعَالَى حَافِظَ الحَكَمِي رَحْمَةً وَاسِعَةً، وَأَسْكَنَهُ جَنَاتِهِ، وَجَزَاهُ مَا قَدَّمَ خَيْرَ الْجَزَاءِ، وَغَفَرَ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِشَيْخِهِ وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ^(١).



نُبْدَةٌ عَنِ الْمُؤَلِّفِ

وأما ما يتعلق بالمؤلف، فهذا الكتاب الذي بين أيدينا، هو «أعلام السنة المنشورة»، تبرز أهميته من أهمية العلم الذي يبحث فيه، فهو يبحث في علم التوحيد، الذي دعت إليه الرسل، وأنزلت من أجله الكتب.

وقد أشار الشيخ حافظ إلى أبرز موضوعات كتابه، وإلى أهميته فقال:

أَمَّا بَعْدُ:

فَهَذَا مُخْتَصَرٌ جَلِيلٌ نَافِعٌ، عَظِيمُ الْفَائِدَةِ، جَمُّ الْمَنَافِعِ، يَشْتَمِلُ عَلَى قَوَاعِدِ الدِّينِ، وَيَتَضَمَّنُ أَصُولَ التَّوْحِيدِ الَّذِي دَعَتْ إِلَيْهِ الرُّسُلُ، وَأُنزِلَتْ بِهِ الْكُتُبُ، وَلَا نَجَاةَ لِمَنْ بَغِيْرَهُ يَدِينُ، وَيَدُلُّ وَيُرْشِدُ إِلَى سُلُوكِ الْمَحَجَّةِ الْبَيْضَاءِ، وَمَنْهَجِ الْحَقِّ الْمُسْتَبِينِ، شَرَحْتُ فِيهِ أُمُورَ الْإِيْمَانِ وَخِصَالَهُ، وَمَا يُزِيلُ جَمِيعَهُ أَوْ يُنَافِي كَمَالَهُ، وَذَكَرْتُ فِيهِ كُلَّ مَسْأَلَةٍ مَصْحُوبَةٍ بِدَلِيلِهَا؛ لِيَتَّضِحَ أَمْرُهَا، وَتَتَجَلَّى حَقِيقَتُهَا، وَيَبِينَ سَبِيلُهَا.

وَاقْتَصَرْتُ فِيهِ عَلَى مَذْهَبِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْإِتْبَاعِ، وَأَهْمَلْتُ أَقْوَالَ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ وَالْإِبْتِدَاعِ... إِلَى آخِرِ مَا قَال.

هذا إيجاز لأهم موضوعات هذا الكتاب، رتب الشيخ حافظ **رحمته الله** كتابه،
أعلام السنة على طريقة السؤال والجواب؛ ليسهل على الطلاب، لأنه ألفه
للطلاب، وقد بدأ تلك الأسئلة بقوله:

س ١: مَا أَوَّلُ مَا يَجِبُ عَلَى الْعِبَادِ؟

ج: أَوَّلُ مَا يَجِبُ عَلَى الْعِبَادِ: مَعْرِفَةُ الْأَمْرِ الَّذِي خَلَقَهُمُ اللَّهُ لَهُ...

وتفرع عن هذا السؤال عدة أسئلة، في تحقيق الأمر الذي خلق العبد له،
ومعنى العبد، وما يتعلق بشروط العبادة، ومراتب الإسلام، من الإسلام
والإيمان والإحسان، وتعريف كل مرتبة مع بيان أركانها، ومعنى كل ركن.

وقد أطال الشيخ الحديث في ركن الإسلام الأول الشهادتين، فبين شروط
الشهادة أن لا إله إلا الله، ودليل كل شرط، ومعنى شهادة أن محمداً رسول الله،
ومقتضاها.

وأطال الشيخ الحديث في ركن الإيمان الأول، يعني: الإيمان بالله، وفيه
تحدث عن أقسام التوحيد، توحيد الربوبية، وتوحيد الأسماء والصفات،
وتوحيد الألوهية، وقد قرن كل مسألة بدليلها، من كتاب الله تعالى، وسنة رسوله
ﷺ، وقد شغل هذا الركن ما يزيد عن ربع الكتاب.

وتحدث الشيخ عن بقية أركان الإيمان الستة، فبدأ بالإيمان بالملائكة،
موضحاً دليل الإيمان بهم من الكتاب والسنة، ذاكراً بعض وظائفهم.

وتحدث الشيخ عن الإيمان بكتب الله المنزلة، مبيّنًا منزلة القرآن الكريم من تلك الكتب، وما يجب على الأمة الإسلامية تجاه القرآن، وحكم من قال بخلقه، وبين ما يتعلق بإثبات صفة الكلام لله تعالى على ما يليق بجلاله - جل وعلا - .

وتحدث الشيخ حافظ عن الإيمان بالرسول - عليهم الصلاة والسلام - موضحة دليل ذلك، ومعنى الإيمان بالرسول، ومواضع اتفاق دعوتهم، ودليل اتفاقهم في أصل العبادة لله تعالى، وبين اختلاف شرائعهم في الفروع، وبين من هم أولو العزم من الرسل، وأولهم، وخاتمهم، وبين معجزات الأنبياء، ومعجزة نبينا محمد ﷺ، ودليل إعجاز القرآن الكريم.

وتحدث عن الإيمان باليوم الآخر مُوردًا دليله ومعناه، وما يدخل فيه من شروط الساعة وأماراتها، والإيمان بالموت وما بعده، من فتنة القبر وعذابه ونعيمه، والنفخ في الصور، وما يكون يوم القيامة من الأهوال، وبين تفاصيل المحشر، والميزان والحوض، والشفاعة والصراط، والجنة ونعيمها، والنار وعذابها، وتفاصيل تلك المباحث وأدلتها.

وتحدث الشيخ **رَحِمَهُ اللهُ** عن الإيمان بالقدر، مبيّنًا دليل الإيمان به، ومراتبه الأربعة، يريد العلم والكتابة والمشية والخلق، وذكر دليل كل مرتبة، وما يدخل في مرتبة الكتابة من التقادير، وبين دليل ذلك، وما ورد عن الكتاب والسنة من الأدلة في إثبات القدرة ومشية العباد على أفعالهم المضافة إليهم، وردّ على الجبرية والمرجئة في ذلك.

وختم الشيخ مبحث أركان الإيمان بالحديث عن شعب الإيمان ناقلاً ذلك من فتح الباري للحافظ ابن حجر **رحمته الله**، وتحدث عن الإحسان، ثم تحدث عن ما يناقض الإيمان من الكفر بأقسامه، والظلم والنفاق والفسوق، مع التمثيل لكل قسم، وبيان دليله.

وتحدث عن السحر والكهانة والتنجيم وما يتفرع عنها.

وتحدث عن المعاصي مبيناً قسميها من صفائر وكبائر، مع تعريف كل قسم وذكر بعض أمثلتها، وما يكفره من التوبة وغيرها، وبين حكم من مات من الموحدين مصرّاً على كبيرة، وهل الحدود مكفرة للذنوب من أتى بها، مع الجمع بين أدلة الوعيد وأدلة الرجاء.

وتحدث عن البدع، فعرفها، وبين أقسامها، وذكر حكم كل قسم.

وختم الشيخ كتابه، ببيان واجب المسلم تجاه أصحاب رسول الله **ﷺ**، فبين مناقبهم وفضائلهم، وذكر الأدلة على خلافة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي **رضي الله عنهم**، إجمالاً وتفصيلاً، وعرج على حكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وحكم كرامات الأولياء **مُعَرَّفًا** به.

وأخر سؤال، قال فيه: **مَنْ هِيَ الطَّائِفَةُ الَّتِي عَنَاهَا النَّبِيُّ ﷺ بِقَوْلِهِ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرَةً، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى -» (١).**

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (١٩٢٠).

وربما أنها الفرقة اللاحقة لها أهل السنة والحسنة - حفظنا الله تعالى جميعاً منها - وهذا الله تعالى فقال: **سَأَلْنَا اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَجْعَلَ مِنْهُمْ وَالْأَبْرَارَ قَلْبًا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا. وَالَّذِينَ يَتَّبِعُونَ النَّسْرَةَ حَتَّى إِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا اللَّهَ**

وجاء في ختام الكتاب قوله بكلمات:

يقول جامع: عفر الله تعالى له والوالدين، فرغت من تأليفه، وذكر التاريخ على عادة المستنيرين في مصنفاتهم من سلفنا الصالحين وعلماؤنا العلماء العاملين رحمهم الله تعالى أجمعين.

من هذا التطواف، بين لنا قيمة هذا الكتاب العلمية، فقيمه تعظم في

أمور:

أولاً: ما يحصله من معتقد صحيح سليم، فلا يوجد في هذا الكتاب مسألة خرج فيها المصنف عن العقيدة الصحيحة.

وأيضاً سمومه الجميل عقيدة أهل السنة والجماعة في أبوابها، لأن مصنفه **رحمته** جعله في ترتيب أصول الإيمان في حديث جميل **الشيور**، بدءاً بالإيمان بالله تعالى، واختتاماً بالتكدير، وفي تاليات تلك بحوث عظيمة.

ومما يبين قيمة هذا الكتاب العظيم دقة الفاظهم، واختصارها مع عظم ما يبحثه وكثرة الكلام فيه، مع ربطه للمسائل بأدلتها الصريحة، حتى إنه لم يذكر مسألة إلا وأردفها بالأدلة الصريحة من الكتاب، ثم من السنة الثابتة عن النبي **ﷺ**.

يظهر من النظر في هذا الكتاب حسن ترتيبه بين المسائل والأدلة، ويظهر أيضًا تجنبه لحشو الكلام، ويظهر تجنبه لِمَا لا فائدة فيه، أو لِمَا تَقُلُّ فائدته. ويظهر قيمة الكتاب العلمية من جعل الكتاب، كتاب تقرير وعرض، لا كتاب ردود واعتراض ونقض، لهذا ترى فيه: اختصاره على مذاهب أهل السنة، وترى إعراضه عن أضراب المبتدعة، وهذا مهم جدًا عند تحصيل علم العقيدة، علم التوحيد، للطالب المبتدئ؛ لأنه لو أُلقي به في خضم الخلافات بين أهل السنة والمخالفين من أهل البدع والأهواء، مع التقريب والردود والاعتراضات وما أشبه؛ فإنه لا بد أن يغرق، ولن يستطيع أن يجمع الأصول العامة.

وقد مرَّ قديمًا ذكر أمر مهم: هو أن لكل علم خارطة طريق، ينبغي على الإنسان أن يضع يده عليها، تمامًا كما ينزل الغريب ديارًا لم يألفها قبل، وفيها غريب الوجه واللون واللسان، فهو يحتاج إلى خارطة طريق، إذا كانت معه خارطة طريق، وكان بها علميًا، يفك مغالقتها، ومعه مفاتيحها، فإنه يستغني عن السؤال، ويمضي على السنن من غير ما عوج.

وأما إذا فقد ذلك فلا بد أن يضل، وأن يدخل التيه بعد التيه، وأن يسأل الصالح والطالح، وأن يتردد كاليتيم بين أيدي اللئام.

كذلك الشأن عند النظر في العلوم، فإذا لم تكن معك خارطة طريق العلم لذي تحاوله وتزاوله وتعالج مسأله، وقعت في التيه، وربما وقعت في التشويش، ربما خرجت بنقيض المقصود، وربما صارت الأمور لديك معكوسة، ولا تستطيع

بعد ذلك أن تضع قدمك على الصراط المستقيم.

كان هذا الأمر يقوم به قَبْلُ من سلفنا الصالحين العلماء الربانيون، فكانوا يلزمون الطلاب في مستويات متعددة بما ينبغي أن يحفظ، وبما ينبغي أن يدرس، وما ينبغي أن يُتوفر عليه ليفهم، إلى غير ذلك من طرائقهم في مراتب طلب العلم، رحمهم الله تعالى رحمة واسعة.

لذلك كان الطلاب النبهاء كثيرين، وكان العلماء متوفرين، وأما الآن فيندر أن تجد طالباً نابهاً، وإن كانوا متوفرين في بعض الأماكن، ولكنهم في الجملة كحبة الرمل في الصحراء، لا زرع فيها ولا ماء، كقطرة الماء العذب في البحر اللجي المتلاطم بأواجه.

فالشـيخ -رحمه الله تعالى- أعطاك هاهنا خارطة طريق لعلم التوحيد، فعلى هذا الأساس فابن، إذا ما نظرت إلى ما أَلْفَه قَبْلَ الشـيخ حافظ بقرون شيخ الإسلام -رحمه الله تعالى- في العقيدة الواسطية، وجدت النَّفْس النَّفْسَ، والمنهجَ المنهجَ، والطريقَ الطريقَ، فهي أصول كلية عامة لعقائد أهل السنة والجماعة، ومذاهبهم في التوحيد والعقيدة.

يقع طالب العلم أحياناً في تضخيم السير، أو في تكثير القليل، على حساب ما ينبغي أن يُكثَّرَ، وما ينبغي أن يُقَلَّلَ، فيقع في كثير من الأمور التي لا تُؤدِّي إلى المراد والمطلوب.

فمثلاً في هذا العصر، قام كثيرٌ ممن يُدرِّسون علم التوحيد بالعُكُوف على

باب من أبواب كتب العقيدة وما يتعلق بولي الأمر، فأعادوا وأبدؤا، وحقَّ لهم، ولكنه فصل في كتاب، فأهملوا سائر الأبواب، حتى صار العوام يحملون على طلاب العلم من أهل المنهج من السلفيين الأفحاح، ويقولون لهم: ليس وراءكم سوى الكلام عن الحاكم والحكومة والخروج وما أشبه، أنتم عبيد الطواغيت، أنتم عبَاد الطاغوت، كما قال الذي لا يُؤسَفُ على عُمُرِهِ محمد عبد المقصود، وذلك إنما وقع من الخلل في تناول والعرض، باب في كتاب، فليكن في موضعه، ولينظر في سائر الأبواب، فتكتمل العقيدة حينئذٍ، وإلاَّ صارت مسخًا شائهاً يُتفر منه ويُصد عنه.

على كُلِّ حَالٍ: كتاب الشيخ حافظ - رحمه الله تعالى - كتاب تقرير وعرض، ليس بكتاب ردود واعتراض ونقض، لهذا ترى فيه: اختصاره على مذاهب أهل السنة، وإعراضه عن أضاليل المبتدعة، وقد يشير عند الحاجة إلى خلاف بعض المبتدعة، إذا كان ظاهر الشنّاعة، كقوله في مسألة العلو: (وقد أقرَّ بذلك جميع المخلوقات إلاَّ الجهمية - حتى الحيوانات أقرَّت بالعلو للعلي الغفار -، بهم لم يقرّوا بعلو الرب - جل وعلا - علو ذات).

الكتاب خلاصةٌ مُحَرَّرَةٌ، وَلِقَاوَةٌ مُنْقَحَةٌ لشرح الشيخ - نادرة العصر **رَحِمَهُ اللهُ** - بابه الكريم النافع الماتع «معارج القبول بشرح سلم الأصول»، لذلك تراه قد ل في غير موضع في هذا الكتاب على «المعارج».

كقوله في جواب السؤال التاسع بعد المائة: «وَقَدْ سَقْنَا مِنْهَا نَحْوَ سِتِّينَ حَدِيثًا

مِنْ طَرِقٍ ثَابِتَةٍ عَنِ جَمَاعَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ يَرْفَعُونَهَا، فِي شَرْحِنَا عَلَيَّ (السُّلَمِ)».

وكقوله في جواب السؤال الثالث والثلاثين بعد المائة: «وَفِي الْبَابِ أَحَادِيثُ كَثِيرَةٌ صَحِيحَةٌ صَرِيحَةٌ ذَكَرْنَا مِنْهَا فِي شَرْحِ (سُلَمِ الْوُصُولِ) خَمْسَةٌ وَأَرْبَعِينَ حَدِيثًا عَنْ أَكْثَرِ مِنْ ثَلَاثِينَ صَحَابِيًّا».

وكقوله في جواب السؤال الثامن والسبعين بعد المائة: «كَمَا بَيَّنَّاهُ فِي شَرْحِ (السُّلَمِ)».

سلك مُصَنِّفُ هَذَا الْمُصَنَّفِ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - مِنْهَجًا مِنْ أَنْفَعِ مَنَاهِجِ التَّعْلِيمِ وَالتَّرْبِيَةِ، وَهُوَ مِنْهَجُ عَرْضِ السُّؤَالِ الْجَامِعِ الْمُفِيدِ الْوَافِي، ثُمَّ يَأْتِي بِالْجَوَابِ الْمُحْكَمِ الْكَافِي، وَهَذَا الْمَنْهَجُ مِنْ أَنْفَعِ مَنَاهِجِ التَّعْلِيمِ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ السُّؤَالَ يُحَدِّدُ الْمَطْلُوبَ لِلسَّائِلِ، وَفِي الْجَوَابِ: بَيَانُ الْحَقِّ مِنَ الْبَاطِلِ، وَهَذِهِ أَقْصَرُ طَرِيقِ الْإِفَادَةِ، لِهَذَا كَثُرَ إِيْرَادُهُ وَاسْتِعْمَالُهُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَالسَّنَةِ وَالْمَطْهَرَةِ؛ يَعْنِي: السُّؤَالَ وَالْجَوَابَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَيِّجُ﴾ [البقرة: ١٨٩].

وقال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ﴾ [البقرة: ٢١٥] الآية.

وقال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾ [البقرة: ٢١٧].

وقال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْتَفِعٌ لِلنَّاسِ وَإِنَّهُمَا آكْرَبُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾ [البقرة: ٢١٩].

وقال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الِئْتِمَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ﴾ [البقرة: ٢٢٠].

وقال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَى﴾ [البقرة: ٢٢٢].

وقال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبُ﴾ [المائدة: ٤].

في ثلاثة عشر موضعا بلفظ: ﴿يَسْأَلُونَكَ﴾.

وهذه في سؤال سائل وجوابه.

وقد كثر أيضا مطالبتهم هم بالسؤال، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣]، فاسألوا أئمة أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون.

وقد يوجه إليهم هم السؤال ليجيبوا عنه، كما في قوله تعالى: ﴿وَلِيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لِيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [لقمان: ٢٥].

ولابد في السؤال أن يكون نافعا، بعيدا عن التكلف، وإلا فالإعراض عما لا ينفع هو الذي ينفع، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُونَ عَنْ أَسْيَاءِ إِنْ بُدِّ لَكُمْ سؤُوكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنزَلُ الْقُرْءَانُ بُدِّ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [١٠١-١٠٢].

وقال تعالى: ﴿ وَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ

إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء: ٨٥].

وأما السنّة الثابتة فيها من هذا المنهج - منهج السؤال والجواب - في التعليم والتربية شيءٌ كثير، بل فيها حديث هو أشهر الأحاديث في باب التعليم - تعليم الدين وأموره -، وهو حديث جبريل المشهور، وسؤاله **عَلَيْهِ السَّلَامُ** للنبي **ﷺ** وجوابه **ﷺ** بالجواب الماتع العظيم، ثم قال **ﷺ** في آخره: «هَذَا جِبْرِيلُ جَاءَ يُعَلِّمُ النَّاسَ دِينَهُمْ»، وفي لفظٍ لمسلم: «هَذَا جِبْرِيلُ أَرَادَ أَنْ تَعَلَّمُوا إِذْ لَمْ تَسْأَلُوا» (١).

فهذا المسلك العلمي سؤالاً نافعاً، وجواباً جامعاً مانعاً، ميزةٌ عظيمةٌ في كتاب الشيخ - رحمه الله تعالى -.

وقد أعجب أهل العلم بكتاب الشيخ حافظ - رحمه الله تعالى -، وعظمت قيمة الكتاب عندهم، وما زالوا في أفياء دلائله أهلين، وعند أفنان مسائله الغصة باقين، يقرءونه ويُقرئونه الطالبين، ويحفظونه المتعلمين.

حتى إن الملك الفاضل سعود بن الإمام العادل عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود - رحمه الله وأسلافه -، وأعان من بقي ووقفهم، أمر بطباعة هذا الكتاب، ورسائل أخرى للمؤلف **رَحِمَهُ اللهُ** ضمن مجموع واحد على نفقته

(١) أخرجه مسلم (١٠).

الجمهورية العربية السورية
الجمهورية العربية السورية
الجمهورية العربية السورية
الجمهورية العربية السورية

الجمهورية العربية السورية

قَالَ الْمُصَنَّفُ رَحِمَهُ اللهُ فِي مُقَدِّمَةِ «أَهْلَامِ السُّنَّةِ الْمُنَشُورَةِ»:

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَعْمَرُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿٣﴾﴾ [الأنعام: ١-٣].

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، أَحَدٌ صَمَدٌ، لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ. ﴿بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانُونَ ﴿١١٦﴾﴾ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿﴾ [البقرة: ١١٦-١١٧].
﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [القصاص: ٦٨]. ﴿لَا يَسْتَلْ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْتَلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنبياء: ٢٣].

وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ؛ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَالَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ قَضَوْا بِالْحَقِّ وَبِهِ كَانُوا يَعْدِلُونَ، وَعَالَى التَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ، الَّذِينَ لَا يَنْحَرِفُونَ عَنِ السُّنَّةِ وَلَا يَعْدِلُونَ، بَلْ إِيَّاهَا يَقْتَفُونَ، وَبِهَا يَتَمَسَّكُونَ، وَعَلَيْهَا يُؤَالُونَ وَيُعَادُونَ، وَعِنْدَهَا يَقْفُونَ، وَعَنْهَا يَذُبُونَ وَيُنَاضِلُونَ، وَعَلَى جَمِيعِ مَنْ سَلَكَ سَبِيلَهُمْ وَقَفَا أَثَرَهُمْ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ.

أَمَّا بَعْدُ: فَهَذَا مُخْتَصَرٌ جَلِيلٌ نَافِعٌ، عَظِيمٌ الْفَائِدَةِ، جَمُّ الْمَنَافِعِ، يَشْتَمِلُ عَلَى

قواعد الدين، ويتضمن أصول التوحيد الذي دعت إليه الرُّسُل، وأُورثت به الكتب، ولا نجاه لمن يعثره يدين، ويدلُّ ويرشد إلى سلوك المحجَّة البيضاء، ومنهج الحقِّ المسبِّين، سُرحَتْ فيه أمور الإيمان وخصاله، وما يُزيل جميعه أو يُنافي كماله، وذكرَتْ فيه كلُّ مسألة مصخوبة بدليلها، ليُتضح أمرها، وتُجلى حقيقتها، ويبيِّن سبيلها.

واقْتَصَرَتْ فيه على مذهب أهل السنة والاتباع، وأهملت أقوال أهل الأهواء والابتداع؛ إذ هي لا تُذكر إلا للردِّ عليها، وإرسال سهام السنة عليها، وقد تصدَّى لكشف عوارها الأئمة الأجلة، وصنّفوا في ردّها وإبعادها المصنّفات المستمثلة، مع أنّ الصّد يُعرف بضده، ويخرُج بتعريف ضابطه وحده، فإذا طلّمت الشمس لم يفتقر النهار إلى استدلال، وإذا استبان الحقُّ واتّضح فما بعده إلا الضلال، ورَبَّته على طريقة السؤال؛ ليستيقظ الطالبُ ويتبّه، ثم أردفه بالجواب الذي يّضح الأمرُ به ولا يشبهه، وسمّيته:

«أعلام السنة المنصورة، لإعتقاد الطائفة الناجية المنصورة»

والله أسأل أن يجعله ابتغاء وجهه الأعلى، وأن ينفعنا بما علمنا، ويعلمنا ما ينفعنا، نعمة منه وفضلاً، إنه على كلِّ شيء قدير، وعباده لطيفٌ خبير، وإليه المرجع والمصير، وهو مولانا فينعم المولى ونعم النصير [١].

الشرح

[١] هذه مقدمة المصنّف رحمَّ الله، حميدٌ فيها ربُّه - تبارك وتعالى - على

جبريل آله ونعمه وإفضاله، ومن أعظم ذلك ما من الله - تبارك وتعالى - عليه به من الهداية إلى معرفة الحق بدليله، والدعوة إلى ذلك بعد اعتقاده، وامتناله، وما من الله - تبارك وتعالى - عليه به من سلوك سبيل المؤمنين المؤجدين المسعفين للبيّ الأمين **عليه السلام**.

وبين **كحائله** هذا المصنف في أي شيء يكون، ثم ذكر **كحائله** السبب الذي لأجله جعله على طريقة السؤال والجواب؛ ليستيقظ الطالب ويتبّه، ثم يردف السؤال بالجواب الذي يتضح الأمر به، ولا يشبه.

وذكر اسم المصنف، فقال: «وسمّيته: أعلام السنّة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصوّرة»، وهذا على سبيل الحكاية، ويجوز أن تقول: «وسمّيته: أعلام السنّة المنصوّرة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصوّرة».

ثم شرع **كحائله** في بيان ما إليه قصد، مبيناً ما عليه من الأدلة يعتمد، فقال **كحائله** سائلاً ومُجيباً:

س (١): مَا أَوْلَ مَا يَجِبُ عَلَى الْعِبَادِ؟

ج: أَوْلَ مَا يَجِبُ عَلَى الْعِبَادِ: مَعْرِفَةُ الْأَمْرِ الَّذِي خَلَقَهُمُ اللَّهُ لَهُ، وَأَخَذَ عَلَيْهِمُ الْمِيثَاقَ بِهِ، وَأَرْسَلَ بِهِ رُسُلَهُ إِلَيْهِمْ، وَأَنْزَلَ بِهِ كُتُبَهُ عَلَيْهِمْ، وَإِلْجَاهِ خَلَقَتِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ، وَالْجَنَّةُ وَالنَّارُ، وَبِهِ حَقَّتِ الْحَاقَّةُ وَوَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ، وَفِي شَأْنِهِ تَنْصَبُ الْمَوَازِينُ وَتَنْطَاطِرُ الصُّحُفُ، وَفِيهِ تَكُونُ الشَّقَاوَةُ وَالسَّعَادَةُ، وَعَلَى حَسْبِهِ تَقْسَمُ الْأَنْوَارُ، وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهَ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ [١].

الشرح

[١] أَوْلَ مَا يَجِبُ عَلَى الْعِبَادِ: أَنْ يَعْرِفُوا الْأَمْرَ الَّذِي لِأَجْلِهِ خَلَقَهُمُ اللَّهُ

تَعَالَى، وَأَخَذَ عَلَيْهِمُ الْمِيثَاقَ بِهِ.

وَالْمِيثَاقُ هُوَ: مَا أَخَذَهُ اللَّهُ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - عَلَى بَنِي آدَمَ عِنْدَمَا كَانُوا فِي ظَهْرِ أَبِيهِمْ آدَمَ عليه السلام، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿الأعراف: ١٧٢﴾.

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ» ^(١)، عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: يُنْقَلُ لِلرَّجُلِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ لَكَ مَا عَلَى الْأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ أَكُنْتَ مُفْتَدِيًا بِهِ؟

قَالَ: فَيَقُولُ: نَعَمْ.
 فَيَقُولُ: قَدْ طَلَبْتُ مِنْكَ أَهْوَانَ مِنْ ذَلِكَ، قَدْ أَخَذْتُ عَلَيْكَ فِي ظَهْرِ آدَمَ، أَلَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا، فَأَبَيْتَ إِلَّا أَنْ تُشْرِكَ.
 فَهَذَا هُوَ الْمِيثَاقُ، الَّذِي ذَكَرَهُ كَتَمَلَّ اللَّهُ فِي قَوْلِهِ: «وَأَخَذَ عَلَيْهِمُ الْمِيثَاقَ بِهِ، وَأَرْسَلَ بِهِ رُسُلَهُ إِلَيْهِمْ، وَأَنْزَلَ بِهِ كُتُبَهُ عَلَيْهِمْ، وَلَا جِلْهَ خَلَقْتَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ، وَالْجَنَّةَ وَالنَّارَ، وَبِهِ حَقَّتْ الْحَقَاقَةُ، وَوَقَعَتِ الرَّاقِعَةُ».

فَهَذَا أَوَّلُ مَا يَجِبُ عَلَى الْعِبَادِ: أَنْ يَعْرِفُوا هَذَا الْأَمْرَ، فَمَا هُوَ هَذَا الْأَمْرُ؟

س (٢): مَا هُوَ ذَلِكَ الْأَمْرُ الَّذِي خَلَقَ اللَّهُ الْخَلْقَ الْأَجْمَلِيَّةَ؟

ج: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِيُبَيِّنَ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المحذاه: ٣٢٨-٣٢٩].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَهْفًا فَكَانَ الَّذِينَ كَفَرُوا

[ص: ٢٧٧].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ كُلَّ شَيْءٍ وَمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الجماع: ٢٢٠].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ لِيُبَيِّنَ مَا

الآيَاتِ. [١٧]

من (٣): مَا مَعْنَى الْعَبِيدِ؟

ج: العبدُ إن أُريدَ به المُعَبَّدُ، أي: المذللُ المُسَخَّرُ، فهو بهذا المعنى شاملٌ لجميعِ المخلوقاتِ مِنَ العوالمِ العلويةِ والسُّفليةِ: مِنَ عاقلٍ وغيره، ورطبٍ ونابسٍ، ومُسخَّرٍ وساكِنٍ، وظاهرٍ وكامنٍ، ومؤمنٍ وكافرٍ، وبرٍّ وفاجرٍ، وغيرِ ذلكِ الكلِّ مخلوقٍ لله **عَلَّامٌ**، مَرْبُوبٌ لَهُ، مُسَخَّرٌ بِتَسْخِيرِهِ، مُدَبَّرٌ بِتَدْبِيرِهِ، وَلِكُلِّ مِنْهَا رَسْمٌ يَقِفُ عَلَيْهِ، وَحَدٌّ يَنْتَهِي إِلَيْهِ، كُلُّ بَجْرِي لِأَجْلِ مُسَمًّى لَا يَتَجَاوَزُهُ بِشِقَالِ ذَرَّةٍ، ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ، وَتَدْبِيرُ الْعَدْلِ الْحَكِيمِ. [١]

الشرح

[١] إِذَا أُريدَ بِالْعَبِيدِ الْمُعَبَّدُ الْمَذَلُّ الْمُسَخَّرُ، فَهَذَا مَعْنَى شَامِلٌ، وَجَيِّدٌ يَعُودُ إِلَى أَصْلِ الْمَعْنَى اللَّغَوِيَّةِ، وَقَدْ قَالَ طَرَفَةُ^(١) فِي وَصْفِ نَاقَتِهِ:

تُبَارِي عِنَاقًا نَاجِيَاتٍ، وَأَتَبَعْتَ وَظِيْفًا وَظِيْفًا فَوْقَ مَوْرٍ مُعَبَّدٍ^(٢)

تُبَارِي: أَي تُعَارِضُ.

عِنَاقًا: كِرَامًا مِنَ الْإِبِلِ الْبَيْضِ.

نَاجِيَاتٍ: سِرَاعًا.

(١) هُوَ طَرَفَةُ بْنُ الْعَبِيدِ بْنِ سُفْيَانَ بْنِ سَعْدٍ، أَبُو عَمْرٍو، الْبَكْرِيُّ الْوَائِلِيُّ، شَاعِرٌ جَاهِلِيٌّ، تَبَيَّنَ الْحِكْمَةُ عَلَى لِسَانِهِ فِي أَكْثَرِ شِعْرِهِ، وَلَدَّ فِي بَادِيَةِ الْبَحْرَيْنِ، وَتَنَقَّلَ فِي بَقَاعِ نَجْدٍ، قِيلَ شَابًا نَحْوَ سَنَةِ ٦٠ ق هـ وَجُمِعَ الْمَحْفُوظُ مِنْ شِعْرِهِ فِي دِيْوَانٍ، انظُرْ: «الْأَعْلَامُ» لِلزَّرْكَوِيِّ (٣/ ٢٢٥).

(٢) انظُرْ: «لِسَانَ الْعَرَبِ» (٥/ ١٨٦).

وإن أريد به العابد المُجِبُّ المُنَدَّلُ، خُصَّ ذَلِكَ بِالمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادَةُ
المُكْرَمُونَ، وَأَوْلِيَاؤُهُ المُنْقُوتُونَ، الَّذِينَ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ. [١]

الشرح

= **وِظِيْفًا: الوَظِيْفُ: عَظْمُ السَّاقِ.**

أَتَبَعْتَ وَظِيْفًا وَظِيْفًا فَوْقَ مَوْرٍ: وَهُوَ التَّرَابُ وَالعُبَارُ.

مُعَبَّدٌ: فَوْقَ مَوْرٍ مُنَدَّلٌ، فَالمُعَبَّدُ: المُنَدَّلُ المُسَخَّرُ.

فَالعَبْدُ إِنْ أُريدُ بِهِ المُعَبَّدُ، أَي: المُنَدَّلُ المُسَخَّرُ فَهُوَ يَهْدِي المَعْنَى شَامِلٌ لِجَمِيعِ
المَخْلُوقَاتِ مِنْ بَرٍّ وَفَاجِرٍ، وَمُؤْمِنٍ وَكَافِرٍ، وَظَاهِرٍ وَكَامِنٍ، وَمُنْتَحَرِكٍ وَسَاكِنٍ،
إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا ذَكَرَ - رَحْمَةُ اللهِ رَحْمَةٌ وَاسِعَةٌ -.

وَقَوْلُهُ: «لِكُلِّ فِيهَا رَسْمٌ يَقِفُ عَلَيْهِ». الرَّسْمُ: الأَثَرُ، وَرَسَمَ الدَّارِ: مَا كَانَ مِنْ
أَثَارِهَا لَا صِيقًا بِالأَرْضِ.

[١] فَالعَبْدُ قَدْ يُرَادُ بِهِ المَعْنَى العَامُّ، فَيَدْخُلُ فِيهِ كُلُّ مَخْلُوقٍ حَتَّى الشَّيَاطِينِ،
فَهُمْ عِبِيدُ اللهِ بِمَعْنَى أَنَّهُمْ مَرْبُوبُونَ، مُسَخَّرُونَ، مَقْهُورُونَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ
شَيْئًا.

وإن أريد بالعابد: المُجِبُّ المُنَدَّلُ، لَا المُنَدَّلُ المُسَخَّرُ، خُصَّ ذَلِكَ
بِالمُؤْمِنِينَ؛ الَّذِينَ هُمْ عِبَادَةُ المُكْرَمُونَ، وَأَوْلِيَاؤُهُ المُنْقُوتُونَ، الَّذِينَ لَا خَوْفَ
عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ.

س (٤): ما هي العبادة؟

ج: العبادة: هي اسم جامع لكل ما يُحبّه الله ويرضاه؛ من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنية، والبراءة مما يتنافى ذلك ويضاده. [١]

الشرح

[١] هذا تعريف شيخ الإسلام **رحمته الله** في رسالته الماتية الجامعة «المُبودية»^(١)، هذا التعريف يدلُّ على أن العبادة تشمل جميع صور الحياة من ظاهر وكامن، ومن متحرك وساكن، ومن منوي وماتوي به، فإذا نظر الإنسان إلى هذا المعنى نظراً صحيحاً، استحالت حياته كلها عبادة لربه - جلّ وعلا -، من عقده قلبه، إلى نطق لسانه، إلى حركة جوارحه.



س (٥): متى يكون العمل عبادة؟

ج: إذا أكمل فيه شيان؛ وهما: كمال الحب مع كمال الذل، قال تعالى:

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَتَمُّوا حُبًّا لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُتَّقُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٧].

وقد جمع الله تعالى بين ذلك في قوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْكَرُونَ بِ

الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رِعَابًا وَهَيْبًا وَكَانُوا لَنَا خَدِيعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠]. [١]

الشرح

[١] فلا بد في العمل - لكي يكون عبادة - من كمال الحب، مع كمال الذل، فإذا لم يجمع العمل هذين الأمرين لا يكون عبادة، فمن أحب إنساناً - مثلاً - غاية الحب، ولم يدل له، لا يكون له عبادة، وإذا دل له كمال الذل، ولم يجبه كمال الحب، لا يكون له عبادة، حتى يجمع الأمرين معاً: كمال الحب مع كمال الذل.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: (١)

وعِبَادَةُ الرَّحْمَنِ غَايَةُ حُبِّهِ مَعَ ذَلِّ عَابِدِهِ هُمَا قُطْبَانِ
وَعَلَيْهِمَا فَلَاكَ الْعِبَادَةُ دَائِرَةٌ مَا دَارَ حَتَّى قَامَتِ الْقُطْبَانِ



(١) «الكافية الشافية» (ص ٣٥، ط ابن تيمية).

وَهَذَا الْحَدِيثُ رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ، وَالْبَغَوِيُّ فِي «شرح السنة»، وَحَسَنَهُ الشَّيْخُ
الْأَبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «السَّلْسِلَةِ الصَّحِيحَةِ».



(١٧ / ٤٣١)، وَالْخَطِيبُ فِي «تَارِيخِ بَغْدَادَ» (١١ / ٣٥٤، ط الْعِلْمِيَّةُ)، مِنْ طَرِيقِ: لَيْثِ بْنِ
أَبِي سُلَيْمٍ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ، عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ سُؤَيْدِ بْنِ مِقْرَانَ، عَنِ النَّوَّاسِ بْنِ عَازِبٍ، قَالَ: قَالَ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَوْثَقُ عُرَى الْإِسْلَامِ الْحُبُّ فِي اللَّهِ وَالْبَغْضُ فِي اللَّهِ». وَحَسَنَهُ لَعْبُرَةُ الْأَبَانِيُّ
فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيْبِ» (٣٠٣٠)، وَفِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ» (٢٥٣٩).
وَأَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي «الكبير» (٥ / ٣٣٩، رَقْم ١١٣٧٢، ط الْعِلْمِيَّةُ)، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي «الشَّعْبِ»
(١٢ / ٧٦، رَقْم ٩٠٦٨)، وَالشَّجَرِيُّ فِي «الأمالي» (٢٠٥٩، ٢١٥٦)، وَالْبَغَوِيُّ فِي «شرح
السُّنَنِ» (١٣ / ٥٣، رَقْم ٣٤٦٨، ط الْمَكْتَبِ الْإِسْلَامِيِّ)، مِنْ طَرِيقِ: حَنْشٍ، عَنْ عِكْرَمَةَ، عَنْ
ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «أَيُّ عُرَى الْإِيمَانِ أَوْثَقُ؟ قَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ
أَعْلَمُ، قَالَ: الْمَوْلَاةُ فِي اللَّهِ، وَالْمَعَادَاةُ فِي اللَّهِ، وَالْحُبُّ فِي اللَّهِ، وَالْبَغْضُ فِي اللَّهِ». وَحَسَنَهُ
بَشْرَاهُ فِي «الصَّحِيحَةِ» (١٧٢٨، ٩٩٨).

س (٧): بِمَاذَا عَرَفَ الْعِبَادُ مَا يُحِبُّهُ اللهُ وَيَرْضَاهُ؟

ج: عَرَفُوهُ بِإِرْسَالِ اللهِ تَعَالَى الرَّسُلَ وَإِنزَالِهِ الْكُتُبَ، أَمْرًا بِمَا يُحِبُّهُ اللهُ وَيَرْضَاهُ، نَاهِيًا عَمَّا يَكْرَهُهُ وَيَأْبَاهُ، وَبِذَلِكَ قَامَتِ عَلَيْهِمْ حُجَّتُهُ الدَّامِنَةُ، وَظَهَرَتِ حِكْمَتُهُ الْبَالِغَةُ.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١]. [١]

الشرح

[١] فَعَرَفَ الْعِبَادُ مَا يُحِبُّهُ اللهُ وَيَرْضَاهُ مِنْ طَرِيقِ الْوَحْيِ الْمَعْصُومِ، لَا مِنْ طَرِيقِ الْفِكْرِ الْمَوْهُومِ؛ وَلَا مِنْ طَرِيقِ النَّظَرِ، وَلَا مِنْ طَرِيقِ الْعَقْلِ، وَلَا مِنْ طَرِيقِ الذُّوقِ، وَلَا مِنْ طَرِيقِ الرِّيَاضَاتِ، وَإِنَّمَا عَرَفُوا مَا يُحِبُّهُ اللهُ وَيَرْضَاهُ عَنْ طَرِيقِ رُسُلِهِ؛ أَنْزَلَ عَلَيْهِمْ كُتُبَهُ، فَأَمَرَ فِيهَا بِمَا يُحِبُّهُ، وَنَهَى فِيهَا عَمَّا يُبْغِضُهُ، فَقَامَتِ بِذَلِكَ حُجَّتُهُ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - عَلَى خَلْقِهِ فِي أَرْضِهِ، وَظَهَرَتِ حِكْمَتُهُ تَعَالَى فِي قُدْرِهِ وَشُرْعِيهِ، وَاللهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ.

س (٨): كم شروط العبادة؟

ج: شروط العبادة ثلاثة:

الأول: صدق العزيمة، وهو شرط في وجودها.

والثاني: إخلاص النية.

والثالث: موافقة الشرع الذي أمر الله تعالى أن لا يدان إلا به، وهما شرطان

في قبولها. [١]

الشرح

[١] ذكر المصنف للعبادة ثلاثة شروط:

الشرط الأول: شرط في وجود العبادة وتحققها في الحياة، فإذا لم يوجد هذا الشرط، لم توجد العبادة أصلاً، فلا بد من وجودها أولاً، ثم بعد ذلك ينظر في شرطي قبولها، وهذا ما يقضي به العقل الصريح، كما قالوا قديماً: وأبنت العرش ثم انقش، فلا بد أولاً من وجود العبادة، فإذا ما وجدت ينظر بعد ذلك في شرطي قبولها.

س (٩): مَا هُوَ صِدْقُ الْعَزِيمَةِ؟

ج: هُوَ تَرْكُ النَّكَاسِلِ وَالنَّوَانِي، وَبَدَلُ الْجَهْدِ فِي أَنْ يُصَدَّقَ قَوْلُهُ بِفِعْلِهِ.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَقْعَلُونَ﴾ [١]

عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَقْعَلُونَ ﴿[الصف: ٢-٣]. [١]

الشرح

[١] إِذَا لَمْ تَصَدِّقِ الْعَزِيمَةَ، لَمْ يُوجَدْ الْفِعْلُ، فَلَا بُدَّ مِنْ صِدْقِ الْعَزِيمَةِ، فَإِذَا

وُجِدَ الْفِعْلُ نَظَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فِي شَرْطِي قَبُولِهِ.

فَالشَّرْطُ الْأَوَّلُ: صِدْقُ الْعَزِيمَةِ، وَهُوَ شَرْطٌ فِي وُجُودِهَا.

